اصولها المادية المحسوسة ، ويفصلها عن ظروفها الطبيعية التي نبتت فيها ، ويفصلها عن مدلولاتها الحيوية المعاشة ، ويفصلها عن حقيقة حياة صاحبها وسيرته وأحداثه وأزماته ومخاوفه وأمانيه ورغباته . ويفضل ان يربط الرمز في جميع الاحوال لا بالحياة الانسانية المعاشة بل بعالم الادراك السحري الغيبي الاسطوري الاعجازي الخارق الذي كرر الاشارة اليه بهذه الصفات عينها في مواضع متعددة من كتابه . وهو يتهم من يحاولون ان يبدأوا بفهم الرمز كما كان يعني عند صاحبه وفي حالته الشخصية بأن عملهم تزييف ينبغي ان يقاوم (ص ١٣٣) ، ويتهمهم بأنهم يقفون عند الدلالة الحرفية ، ويصيح « ان مفهوم الحقيقة او الدلالة الحرفية ما يزال اقرب الى حيوان يفترس الشعر ولا يبقي منه على غير عظام » (ص ١٩٨) . وهو في غضبه هذا لا ينتبه الى ان من يتهمهم بالاقتصار على الحقيقة او الدلالة الحرفية يريدون ان « يبدأوا » بفهم الاصل الحسي للرمز وان يفهموا ما كان يعنيه في حالة الشاعر الخاصة قبل ان يطلقوا لخيالهم العنان في اجواء التفسير الرمزي ، لان هذا البدء في نظرهم هو وقايتهم الوحيدة من ان يجمحوا جموحا ينتهي الى الضلال .

والمؤلف في هذا كله ينسى حقيقة أولية : ان الرمز يقوم أولا على استعمال المحسوس ، ثم ينقله من مجاله الطبيعي الى مجال جديد . لكن من الواضح اننا لا نستطيع ان نتتبع هذا الانتقال الا اذا بدأنا بفهم مدلوله الحسي ومجاله الطبيعي ، وهذا الفهم وحده هو الذي يصوننا من ان نشطح وراء تخيل الرموز الى مدى الهوس الذي لا يختلف شيئا عن اوهام الحشاشين وهلوسات المجانين . واذا كان الرمز كما يقول المؤلف طبقات كثيرة متنوعة المصدر ، فكيف يجوز لنا ان نفصله عن مصادره المتنوعة ، وكيف يجوز لنا ان نهمل جميع هذه الطبقات المتراكمة ما عدا اخرها وابعدها واعلاها ؟ لكن هذا هو عين ما يفعله المؤلف ، فهو يفصل هذه الطبقة عما سبقها واقترن بها وقاد اليها من طبقات .

يقول المؤلف « لا شيء أروع من ملاحظة استقلال الاشكال الروحية عن مصادرها » (ص ١٥٨ ـ ١٥٩) . ونحن نقول : لا شيء أدعى الى الخطأ وأحفز على العبث وأدفع الى الضلال من القاء مثل هذا الحكم المطلق . فالاشكال الروحية ، كائنة ما كانت ، لا نستطيع نحن البشر ان ندركها الا اذا تلبست باشكال مادية محسوسة ، والاشكال الروحية ـ في وجودنا نحن البشر ، لا الالهة ولا الملائكة ـ مهما تطمح الى الاستقلال عن مصادرها تظل مرتبطة بها ارتباطا قويا . وهذا بالضبط هو سر « روعة » الفن ، انه يصور طموح الانسان الى هذا الاستقلال ، ولا سبيل لنا الى تقدير هذه الروعة او « الارتياع » بها الا اذا بدأنا بدراسة واقعية مفصلة مسهبة لحدود الانسان المادية وظروفه الاجتماعية ومشكلاته الشخصية وأزماته النفسية ، ثم تأملنا محاولته في فنه ان يعلو عليها ، فراقبنا مدى نجاحه ومدى اخفاقه ، وفرحنا لانتصاراته وحزنا لهزائمه . اما ان نعزل الفن عن هذه جميعا ، ونحاول ان نتبصره تبصرا جماليا باردا يرى فيه جمالا مجردا مستغلا عن كل تلك العناصر المكونة من تراب وعرق ودم ولحم ، فاي « جمال » نستطيع ان نجده في الفن بعد هذا الالغاء التام لرسالته الانسانية والانكار التام لمحتواه الحيوي والافراغ التام لاشكاله الحسية ؟ يقول الدكتور ناصف : جمال الاشكال الروحية ، جمال الرمز المعمى المحرف البعيد ، جمال الادراك الغيبي السحري الاسطوري الاعجازي الخارق . وفي مقالة قادمة سنرى الى أي مدى يريدنا المذهب الجمالي الرمزي ان نشطح وراء رموزه التامة الانعزال عن حقيقة الحياة الانسانية المعاشة .

القاهرة — محمد النويهي

إذا احترقت الغابة

هل تعرف ماذا يعصف بي
لو شب حريق في الغابه
لو جاء شتاء وحشي
ينشب في قلبي انيابه
هل تدري معنى ان ينأى ،
الانسان ويفقد احبابه
ويعيش غريبا منسيا
لا احد يطرق ابوابه
لا نظرة حب ترعاه
لا قلب يحس بشكواه
والوحشة تمضغ اعصابه
يا ليل الغربة هل تدري
بأسى يتأجج في صدري
لو عاد الغائب في الفجر !
ليعانق ارضا يعشقها
وليدفن فيها احزانه
اتراه سيقدر ان ينسى ،
اياما ادمت اجفانه
وغضونا تحفر جبهته
وجفافا يغمر بستانه
اهنالك في الدنيا قوة
ترجع ما ضاع من العمر
وتجدد احلاما حلوه
سحقتها اقدام الدهر
يا ليل الغربة ... هل تدري ؟

صوفيا — بدر الحبيب